البعد الاجتماعي للمصطلح العروضي

أ/ برجوح جمعة
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة (الجزائر)

Résumé
Cette dimension est issue à travers de l 'intersection des lignes entre deux champs: Champ de l'homme et celui de la nature .On a étudie dans le premier champ la morale de l'homme son corps ,ses mouvements, nourriture en outre le coté religieux, historique de la vie de l'homme. Le deuxième champ in a étudie la notion du temps ,du lieu ,la nation du chameau, de l'eau. C'est pourquoi ,on peut déduire que la terminologie de "versification" suivant un binome opposé et cela se reflète dan l' univers.

الملخص:
إن هذه الدراسة المصطلحية , أرادت أن تخرج من دائرة الدراسات المصطلحية العروضية العتيقة التي سجنت المصطلح العروضي في بوتقة من التعريف التقليدي ,والتطبيق لقواعد العروض المحدودة ,فهذا الدراسة تحاول أن تلفت النظر إلى زاوية أخرى من المصطلح العروضي لا تعتمد على التعريف المصطلحي ولا على الجانب التطبيقي للمصطلح بل تحاول الوقوف على البعد الذي يرسمه المصطلح العروضي في رحلة تشكله وذلك من خلال جذوره اللغوية .

الموضوع:
المصطلح هوية العلوم بكل ما يحمله من لافتات معرفية (فلسفية ,اجتماعية,لغوية ,تواصلية ..., فبدون معرفة المصطلحات لا يمكننا إدراك العلم ولا فهم مكنوناته الماضية في الأتساع والعمق ، هذه المعارف التي تختزن تجارب العقول البشرية في رحلة توظيفها للعقل, وهو في قمة نضجه الفكري ,أو خلاصة إمعان النظر في هذا الوجود ، وهذا كله من أجل كشف خباياه والعيش فيه ، ومنه التواصل مع بني البشر على اختلاف مللهم وعقائدهم. والمصطلح العروضي لبنة من لبنات المصطلح النقدي , الذي يشكل كياناً لغويا ، ثقافيا ، تاريخيا ، معرفيا ، يتشكل من أصوات تأخذ مكانها على المساحة الكتابية ، فهو يختزل ثقافة الأمة ، ويرسم تقاسيم الحضارة التي ولد ونشاء فيها . فالمصطلح العروضي جزء من الهرم المصطلحي النقدي الذي تكون منذ زمن من علوم عدة مثل الدراسات القرآنية , البلاغة ,والنحو والصرف ,الفلسفة,والمنطق ,..
بداية دعونا نضم صوتنا إلى صوت جل الباحثين والدارسين والنقاد المهتمين بعلم العروض ,عندما اتفقوا على أن مخترع علم العروض هو الخليل ابن احمد الفراهيدي ,في القرن الثاني هجري ,فهو علم مازال شامخ أمام كل محاولات التغيير والتبديل ,ومحاولات الانفلات المتكررة من الأجيال المتلاحقة ,سوى كانت هذه الأجيال تحاول التجديد والإضافة والإبداع أو تحاول التحرر من قيود القافية , ولكل فئة مبرراتها في هذين الموقفين .
فهذه الدراسة تحاول أن تجول بنا في عالم الحفريات المصطلحية وذلك عندما قمنا بإرجاع كل مصطلح إلى جذره اللغوي من مقاييس اللغة لابن فارس ,وبحثنا في دلالته الاجتماعية,من خلال معجم اللسان لابن منظور,وقد أسفرت هذه العملية البحثية على تشكل مجموعة من الحقول الدلالية كان يسبح في فضائها المصطلح العروضي ,ففتح لنا مجال الإبعاد الاجتماعية التي أوجدت المصطلح العروضي ,وهذا ما سنتعرض له في العنصر التالي:

البعد الاجتماعي للمصطلح العروضي :
إن البعد الاجتماعي للمصطلح العروضي ,قد رسمته تلك الخطوط المتقاطعة بين الدلالة المركزية ,التي توقفت عند الجذر اللغوي للمصطلح ,وما يحمله من دلالة قد امتدت إلى الدلالة الهامشية ,والتي سجلنا من خلالها ,حقولاً دلالية ,أظهرت

ذلك الحضور الاجتماعي ,بكل صوره المختلفة من إنسان ,وطبيعة ,وزمان ,مكان ,ومنه فالمصطلح العروضي هو صورة يتراء فيها الواقع العربي ,عندما ينعكس في الفكر ومنه في اللغة ,التي تظهر في القصيدة ,هذه الأخيرة ,التي سجلت بحق حياة وفكر الإنسان العربي في علاقاته بتلك الأشياء المحيطة به فهو صورة للإنسان والحيوان ,والطبيعة ,والوجود .ومنه القصيدة كشفت عن الحياة العربية بكل تقاسيمها المادية والمعنوية .

تحرك المصطلح العروضي في رحلة تكوينه على المساحة المعرفية على مستوى حقلين دلالين وهما :حقــل الإنســان ,وحقل الطبيعة ,حيث سجل المصطلح حياة هذا الكائن البشري ,في كل حركاته وسكناته بكل تفاصيلها حيث تناول أخلاقــه (الحسنة والسيئة) ,وأعضائه (الوجه والجسم),حركته (القلب والأعضاء),وغذائه (النباتي والحيواني),كما تناول دينه في جانبه (الدنيوي والأخروي) , وتاريخه (الجاهلي والإسلامي) ,وبهذا يمكننا القول أن المصطلح العروضــي تحــرك وفــق ثنائيــة ضدية,انعكست فيها صورة الكون .

فالناقد العربي وهو يضع مصطلحا ته العروضية ,انطلق من واقع معيشي ,تتجلي فيه صورة الإنسان في أنتاجــه الفكــري ," والعلاقات بين الإنسان الفطري ومظاهر الحياة والكون علاقات فطرية تحكمها العاطفة والإحســاس الفطــري فمــا بينهــا "1 والحقول الدلالية التالية تبين مدى تجذّر علاقات الإنسان المختلفة في هذا الكون .

1****- **حقل الإنسان:**

الأخلاق		**الأعضاء**		**الحركة**		**الغذاء**	
الحسنة	السيئة	الوجه	الجسم	القلب	الأعضاء	النباتي	الحيواني
الوزن	العروض	القبل	الصدر	الضرب	الضرب	الوزن	المديد
الطويل	الخفيف	الفلج	العجز		البسيط	المضارع	الحذو
المديد	الغاية	اللثغ	الفدع		الرمل	الدخيل	
البسيط	المجري	الكزم	الوكع		السريع	الإشباع	
الوافر	الدخيل	الثرم	الكزم		المنسرح	الإيطاء	
الكامل	الإقواء	الصلم	الوقص		المتقارب	الإضمار	
المتقارب	القافية	الشتر	الخبل		الزحاف	القطف	
السبب	المتراكبة		الخزل		الإجازة	العلة	
الوتد	المسمط		الكوس		الكوس	الاصطراف	الاصطراف
الفاصلة	الشكل		التخليع		المتدارك		
الابتداء	النقص		العضب		المتواتر		
الأخلاق		**الحركة**		**الدين**		**التاريخ**	
الحسنة	السيئة	القلب	الأعضاء	الدنيا	الآخرة	عادات جاهلية.	عادات إسلامية.
القافية	التذييل		التصريع	الابتداء	الرجز	الردف	الرمل
المطلقة	الكسف		المنهوك	البسيط	المضارع	الإشباع	الروي
الإسناد	القصد		الخزل	القبض	الخبل	التام	الإقعاد
الخروج	القصد		الحذذ	الرقيب	المتدارك	الوصل	
النفاذ	العضب		القطف	القدوس			
الإشباع	الخبل		القطع	السالم			
الإيطاء	القصم			الفاصل			
التضمين				المتواتر			
التصريع				البتر			
القواديسي							
المسمط							
القبض							
العقل الوافي الحذف.							

إن هذه المصطلحات العروضية ألّبست القصيدة العربية ثوب الإنسان,بكل ما يحمله من خصائص مادية ومعنوية ,حيث حملت تاريخه ودينه ,فأصبحت رقعة معرفية نحت عليها الناقد العربي تقاسيم وجوده عندما عبّرت عن إنسانيته وعلاقاته ,فالمصطلحات العروضية لم تخرج عن الواقع العربي ,فبيّنت أن الإنسان ,كائن عضوي ,وكائن أخلاقي ,كائن حركي ,فضلا على كونه كائن اجتماعي ,"فالكلام شبه بالجسم البشري ,وهذا شئ طبيعي ما دام الجسم البشري مناط الحياكة والصياغة والتصوير ...وتشبيه القصيدة بجسد بشري في أحسن تقويم لان مثلها مثل خلق الإنسان "2 ,وأعضائها تشبه أعضائه ,"في اتصال بعض أعضائه ببعض,فمتى انفصل واحد عن الأخر وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخوَّنُ محاسنه وتُعفي معالم جماله ,ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين محترسين من مثل هذه الحالة احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الإحسان حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال ,في تأنق القصيدة وفي تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها لمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء " 3 .

فقد نقلنا المصطلح العروضي إلى تلك الحياة العربية , بكل تفاصيلها ,فالإنسان كائن أخلاقي يحمل مجموعة من الاستعدادات الفطرية ومؤثرات الحياة الواقعية ,وبين هاتين الدفتين تسكن النفس البشرية ,التي تشكلها قبضة من طين ونفحة من روح ,تتأرجح هذه الروح بين الرفعة إلى السماء ,عندما ترتقي بالخلق الصافي النقي إلى أرواح الملائكة ,وبين الخلل الذي يصيب تلك النفس البشرية ,فينزل بها إلى الحضيض ,فالمصطلح العروضي صور الأخلاق بكل جوانبها الحسنة والسيئة ,كما صور أعضاء الإنسان في الوجه والجسم,وكذا حركته.

2* المصطلح العروضي والدلالة التاريخية :**

التاريخ سجل يحمل توقيعات المجتمعات البشرية في صيرورتها الزمنية ,ويكتب الأحداث التي مرت بها الإنسانية عبر الأزمنة المتلاحقة ,فالتاريخ لوحة مُشَكْلة من زخرفة الحضارات المتعددة,والمصطلح العروضي هو ذلك الوجه الأخر للتاريخ ,عندما يتوغل بك عبر تلك الطبقات التاريخية ليصل بك إلى زمن الجاهلية ويصور لك الحياة الاجتماعية ,في جانب العادات والتقاليد الموروثة عن الأجداد , والمصطلحات التالية دليلنا على ذلك :

1 –**مصطلح التام:**"ارتبط بالتمائم وهي التميمة وهي خرزات كان الأعراب يعلّقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين في نظرهم ." 4 فهذه الخرافات الوهمية ,قد مسّت عمق العقيدة الإنسانية ,عندما اختصرت وعلقت الخير والشر في تميمة وغاب عن فكرها أن مسبب الخبر ودافع الشر والأذى هو الله ,و بمجيء الإسلام صحح هذه العقيدة ,ووجهها إلي الوجه الصحيح ,وربطها في ذهن الإنسان أن كل حركة في هذا الوجود . هي بيد الله .

2–**مصطلح الردف :** فهو مصطلح وافد علينا من الحياة السياسية الجاهلية ,ومن معاني الردف " أرداف الملوك في الجاهلية هم الذين كانوا يخلفون الملوك في القيام بأمر المملكة ,وعند مجيء الإسلام نقلها إلى مصطلح وزراء "5.

3–**مصطلح الوصل:** يعكس هذا المصطلح عادات وتقاليد العربي في زمن الجاهلية مع حيوان الإبل ؛فقد كانت للعرب سنن تتعلق بالإبل ,فالناقة التي تنجب خمسة أبطن وكان آخرها ذكر بحرو أذنها (شقوها),وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ,ولا تطرد من ماء ترده ولا تمنع من مرعي وتسمي البحيرة ,وكانوا ينحرون لألهتهم إحدى النياق فيتركها فلا يتعرضون لها ويسمونها السائبة,أما الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن فيقولون قد وصلت ,,فلا تذبح أو تضرب , أو تمنع عن مرعي ."6,وبمجي الإسلام حرم هذه التقاليد البالية في التعامل مع هذا الحيوان فنزل في محكم تنزيله **(مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ.)7** .

4–**مصطلح الرمل :** مصطلح ارتبط بالحج وهو السنة الثانية من سنن الطواف ,وهو الإسراع مع هز الكتفين وتقارب الخطى ,وقد سن من اجل إظهار قوة المسلمين "روي ابن عباس رضي الله عنهما ,قال,قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون ,إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ,ولقوا منها شراً ,فأطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوه ,فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ,وأن يمشوا بين الركنين ,فلما رأوهم رملوا :قالوا هؤلاء الذين

ذكرتهم أن الحمى قد وهنتهم ؟ هؤلاء أجلد منا ."8 هذا المصطلح شاهد عيان عن تلك العلاقة العدائية بين عقيدتين عقيدة الكفر ,وعقيدة التوحيد الجديد ,وهي في قمة صراعها مع الشرك .

– **5مصطلح التروي :** فهذا المصطلح ارتبط بأيام المسلمين ,ويوم التروي هو اليوم الثامن من ذي الحجة ,"أما مصطلح **الإشباع:** فقد ارتبط بماء زمزم , حيث كان يسمي شباعة "9 , مصطلح **الإقعاد :**هو الآخر ارتبط بشهر من الشهور الهجرية العربية وهو شهر ذو القعدة الذي كانت العرب تقعد فيه عن القتال والغزو ,وتحج في ذي الحجة .

3/* المصطلح العروضي والدلالة الدينية :**

يرتقي المصطلح العروضي في سلمه الدلالي ليعرج بنا إلى السماء ,عندما تحضر الدلالة المصطلحية في أسماء وصفات الله تعالى ,فهو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ,فمن أسمائه المبدأ فهو الذي أنشأ الأشياء كلها ,فهو الذي يقول **{انَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}**10,أما الباسط فهو الذي يبسط الرزق لعباده ,ويبسط الروح عند الحياة ,**{لَئِن بَسَطْتَّ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ العَالَمِينَ}**11, **(والله يَرزُقُ مَنْ يشاء بغير حِسَاب)12** وهو القابض لأنه يقبض الروح عند الممات ,وهو الذي يقبض الرزق عن عباده **{أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمانِ إِنَّهُ بِكُلِّ شَئ بَصِيرُ}**13,والرقيب هو الذي يراقب عباده يعلم سرهم ونجواهم,فهو الذي يقول **{مَا قُلْتُ لَهُمُ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنُ اعبُدُوا الله رَبّي ورَبَّكُمْ وكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلَّ شَيءٍ شَهِيدُ}.14**

والقدوس هو الطاهر المنزه عن الخطأ والعيب والنقص ."15

{هُو الله الذِي لاَ إِلَـــــهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُومِنُ الْمُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ ,هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوّرُ لَهُ الأسمَاءُ الحُسْنَى يُسَبّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاواتِ والأرض وَهُو الْعَزِيزُ الحَكِيمُ.}16 , أما صفاته فقد وردت في المصطلح العروضي صفتين وأولها الفاصل فهو الذي يفصل بين عباده وخلقه يوم القيامة ,وكذلك مصطلح الوتر ,فهو الواحد الأحد فهو يقول في محكم تنزيله **{لَن تَنفَعَكُمُ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .17}**

وقبل أن ينزل المصطلح العروضي إلى الأرض ,ينقلنا إلى صورة تحكي حال العاصين والمتكبرين من عبادة الرحمان ,والغارقين في براثين الشهوات والمنكرات, فمصطلحات النار كانت حاضرة(الرجز,المضارع ,الخبل والمتدارك) "كلها تصور العذاب وهو حالهم,والدركات منازلهم ,والضريع طعامهم ,والخبال عصارتهم , آما السلوكيات التعبدية كان لها مكان بين المصطلحات العروضي عندما ارتبطت بالصلاة والصوم والحجة ,والخطبة ,فالوتر هو الركعة الواحدة في الصلاة,والصوم يوم بعد يوم ,والوتر يوم عرفة ,إما الخطبة البتراء فهي التي لم يذكر فيها اسم الله ولا الصلاة على رسول الله صلي الله عليه وسلم ."18 ,إذن المصطلح العروضي في الدلالة الدينية ارتبط بثلاثة دوائر,فالدائرة الأولي خصت الله تعالى في أسمائه وصفاته ,والدائرة الثانية خصت حال أهل جهنم ,أما الدائرة الثالثة فخصت حال المؤمنين,في عبادته.

2-حقل الطبيعة :

إن الطبيعة بكل موجداتها هي الأخرى كانت حاضرة مشكلة من كل عناصرها ,من حيوان ,وزمان,ومكان وماء.

الحيوان(الإبل)	الزمان(الليل والنهار)	المكان(البيت)	الماء
العروض/المديد/الضرب	المتقارب	الضرب	العروض
البسيط/الرجز/المنسرح	الثرم	الاعتماد	المديد
المضارع/الخفيف/المقتضب	الغاية	الوتد	الرمل
المجتث/الفاصلة/الزحاف	الردف	السبب	الخفيف
القبل/الفلج/الوكع/الكزم/الخرم	التصريع	الروي	الضرب
الثرم/الخزم/الاعتماد/القافية	الخبل	الأكفاء	الاعتماد
المقيدة/الروي/السناد/الأجازة	الاصطراف	الصدر	القافية
ق المطلقة/الوصل/الخروج		التصريع	الروي
المجري/الدخيل/الرس/الأكفاء		العجز	القافية المطلقة
التضمين/المتراكب/المتواتر		الخباء	المجري
المسمط/الشطر/المنهوك		الفلج	المخمس
المخمس/الطي/الوقص/العقل		البيت	القطع
العصب/الخبل/الشكل/الخزل			الجمم
التسبيغ/التذييل/الكشف/القصر			العلة
القطع/العصب/القريض/التام			الصدر
المجزوء/العلة/الحشو/الخلع			
العجز/الإقعاد/التوجيه			

5/* المصطلح العروضي و الدلالة الحيوانية :**

لقد شكلت **الإبل: (61م)**من جملة المصطلحات المدروسة (117),فهي بالنسبة إلى العربي المأكل والملبس والنقل,إن هذا الحيوان قد وصفه المصطلح العروضي ,في حركاته وسكناته ,ومشربه وولادته ,مما طغي على جل المصطلحات المدروسة ,وهذا وإن دل فانه يدل على تلك العلاقة الخاصة والمتميزة بينه وبين الإنسان العربي ,فقد رافق هذا الحيوان الإنسان العربي منذ زمن بعيد لماله من خصائص تتلاءم وتلك البيئة العربية " فالناقة هي ابرز حيوان يظهر في عرض الفلاة ... وهي أهم وسيلة نقل تبدو متحركة تواصل الليل بالنهار علي سطح الصحراء وتخوض غمار مجاهلها ,وتحكي قصة معاناتها ,وكدها "19 ,حيث تكتسي أهميتها في تعدد وظائفه فهو رمز العزة والمال,وحاضرة في السلم والحرب ,كما ارتبطت بالزواج,واتخذت فدية للقتيل.

"لقد اكتسبت الإبل أهميتها على مر العصور نتيجة لمقدرتها الفائقة على المعيشة وتحمل الظروف البيئية القاسية في الصحاري الجافة الشديد الجفاف ولهذا تميزت عن غيرها من الحيوانات الاقتصادية التقليدية ,تقطع الإبل مساحات شاسعة سعيا وراء الكلاء والماء ومراعيها الصحراوية ...وللإبل قدرة فائقة علي تحمل العطش لفترات طويلة في الصحاري الجافة فهي تستطيع أن تقاوم العطش لمدة طويلة ... وللإبل قدرة على مقاومة العديد من الأمراض نظراً لتأقلمها على تحمل الظروف القاسية..." 20. وقد كرم الله تعالى هذا الحيوان ,عندما ربطه اسمه بمعجزات الأنبياء ,وخلده بذكره في القرآن ,قال تعالى "**أَفَلاَ يَنْظُرونَ إِلَى اَلإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**"**21** ,"فلعظمة هذا المخلوق يدعوننا الله سبحانه وتعالى إلى إمعان النظر والتفكير في هذا الحيوان فالإبل حيوان العربي الأول ,عليها يسافر ويحمل ,ومنها يشرب ويأكل ,ومن أوابا رها وجلودها يلبس ويغزل ,فهي مورده الأول للحياة ,ثم إن لها خصائص تفردها من بين الحيوان,فهي على قوتها وضخامتها وظلاعة تكوينها ذلول يقودها الصغير

فتنقاد ,وهي علي عظم نفعها وخدمتها قليلة التكاليف ,مرعاها ميسر وكلفتها ضئيلة ,وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح وسوء الأحوال ...لهذا كله يوجه القرآن أنظار المخاطبين إلى تدبر خلق الإبل ,وهي بين أيـــديهم ,لا تحتـــاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد ."22

ويزداد شرف هذا الحيوان عندما يصبح معجزة من معجزات الأنبياء,قال تعالى **(وَالى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالحاً قَالَ يَا قَـــوْمِ اعْبُدُوا الله مَالَكُم مِّن اِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمُ آيَةً فَذَرُوهَا تَأكُلْ فِي أَرْضِ الله وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَاخُذَكُم عَذَابُ اَلِيمٌ)** 23 وقد جاءت هذه الآية حجة لما جاء به صالح لقومه .24 فبالإضافة إلى القرآن ,اهتم العـــرب بحيـــاة الإبل حيث تناولت الكثير من الكتب بالتفصيل في حياتها ونسلها وشربها واكلها ونكاحها ونتاجها,وكل ما يتعلق بها . فالثعالبي في كتابه فقه اللغة خصص فصلا تناول فيه تفصيل سير الإبل إلى الماء في أوقات مختلفة حيث يقول "سيرها إلى الماء يومـــاً بعد يوماً ,الغب ورودها بعد ثلاث ,الربع ثم الخمس ,ورودها كل يوم ,الظاهرة ...."25

6/*المصطلح العروضي والدلالة الزمنية:**

في هذه الدائرة تلتقي البحور الشعرية والعيوب والمهمات والحروف والألقاب ,صانعة لنفسها حلقة تتبادل فيها الأوقات والأزمنة .فبحر المتقارب من معانيه التي يحملها ,اعتدال الليل والنهار ,وهذا الاعتدال يرتبط في ذاكرة الإنسان بفصل الربيـــع ,الذي تنتعش فيه الطبيعة وهي تداعب الإنسان, وتهز روحه بالجمال والتفاؤل , مصطلح الثرم من بين معانيه الليل والنهـــار ,فإذا سقطنا هذا المعنى على الإنسان ,في تعاقب الليل والنهار وكأنهما ينقصان من حياة الإنسان ويقربانه من اجلـــه ,مصـــطلح الردف هو الأخر ,يصور حركية الليل والنهار وهم في تتابع لا ينقطع وتعاقبهما يشكل حياة الإنسان بكـــل أبعادهـــا وأعمالهـــا المختلفة .أما الغاية والتصريع مصطلحين قد التقيا في دلالة النهار عندما ارتبطت بالغداة و العشي,فالغدو يقترب من انتصاف النهار و العشي تقترب من الغروب وهو الاستعداد للاستقبال أول ساعات الليل ويقول الثعالبي فـــي تقســـيم ســـاعات النهـــار "الشروق,ثم البكور ,ثم الغدو ,ثم الضحى , ثم الهاجرة, ثم الظهيرة ,ثم الرَّواح ,ثم العصر ثم الأصيل ,ثم القصر ثم العشي ثـــم الغروب ."26

و الليل له وقعه على المتعبدين ,وعلى الشعراء ,ولكل فئة ما يربطها بالليل ,فقد يكون راحة نفسية وروحية ,وقد يكـــون محطة تذكرنا بالهموم والإحزان .

يقول الله تعالى "**يَأَيُّهَا اَلمُزَّمِّلُ,قُمِ اللَيْلَ إلاَّ قليلاَ,نّصْفَهُ أو انقُص مِنْهُ قَلِيلاً ,أو زِدْ عَلَيْه وَرَتِّلِ القُرْآن تَرْتِيلاً,إنَّا سَـــنُلْقِي عَلَيكَ قَوْلاً ثَقِيلا,إنَّ نَاشِئَةَ الليلِ هِيِ أَشَدُ ٌ وَطَاء وأَقْوَمُ قِيلاً,إنَّ لَكَ فِي النَّهار سَبْحًا طَوِيلاً**,"27

وقد جاء في تفسير هذه الآيات ..."إن قيام الليل والناس نيام ,والانقطاع عن غبش الحياة اليومية...والاتصال بالله ,وتلقي فيضه ونوره ,والإنس بالوحدة معه والخلوة إليه ,وترتيل القرآن والكون ساكن ...واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاتـــه فـــي الليل الساجي –إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل ,... وينير القلب في الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وســـاوس الشيطان ,و"ناشئة الليل " هي ما ينشأ منه بعد العشاء,والآية تقول "إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا "إي أجهد للبدن وأقوم قيلا :أي أثبت للخير ... فإن مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش ,بعد كد النهار أشد وطأً وأجهد للبدن ,ولكنها إعلان لســـيطرة الروح ,واستجابة لدعوة الله... لان لذكر فيه حلاوته وللصلاة فيه خشوعها ,وللمناجاة فيه شفافيتها وإنها لتكسب في القلب أنســـا وراحة وشفافية ونوراً قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره ,"أن لك في النهار سبحاً طـــويلا" ,فليـــنقض النهـــار فـــي النشـــاط ,وليخلص لربه في الليل يقوم له بالصلاة والذكر "28

لكن حال الشاعر يختلف عن ذلك ,عندما يرتبط الليل بجماله الساكن وهو يداعب روحية الإنسان ,فيحمل الشاعر إلى جو من الحزن والهموم ." وكثيرا ما يبيت ليلة قلقا خائفا من طول الليل ,فهذا الامتداد المؤرق لليل ,والمتمثل ببطء سير الكواكب ,يثير في النفس ولعا ورغبة بمجي الفجر"29. وهذا ما عبر عنه قول الشاعر :

"امرؤ القيس:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخي سدولهُ * عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي**
فقلت له لما تمطي بصلبه * وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ**
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجل * بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ ". 30**

فالليل هذه المحطة المظلمة ,التي تَرْمِ بثقلها على كاهل الشاعر ,وتذكره بكل الهموم والأحزان التي مر بها خلال أيامه ولياليه .هذا الأخير أضحي سجن يتمني الشاعر متى يطلع النهار حتى يتحرر منه .لكن هل هذا التحرر أو الحرية التي ينشدها الشاعر دائما أو مؤقت ؟.

إذن صورتين متناقضين جمعهما الليل وزمنه , صورة: تتحلي بالراحة و الطمأنينة في حضرة الخالق, عندما تتعانق الروح الإلهية مع الروح البشرية ويلتحم الأصل مع الفرع ,وصورة أخرى يتجلي فيها الضعف البشري تظهر في الخوف والهموم ,والضياع عندما نسلم أنفسنا لتلك الذكريات المؤلمة .

7/*المصطلح العروضي ودلالة المكان :**

المكان هو ذلك الفضاء الذي يجمع الكائن البشري , مع غيره من المخلوقات ," فالإنسان يحس بالمكان بمظاهره أرضه ووديانه وجباله , ونباته وحيوانه , وتربط بينهما الألفة والعاطفة ,فيراها جميعا تحادثه ويحادثها وتعايشها كما تأسي لفراقه ,ويحس بآلامها وتحس بآلامه. "31 كما هو تلك المساحة المخصصة لإيواء الإنسان من حر الصيف وبرد الشتاء ,انه البيت الذي يجمع شتات الأسرة ,ويصور سلوكياتها الإنسانية ,ويقسم مسؤولياتها وأدوارها المختلفة. فالبيت هو من يمثل قمة اجتماعية الإنسان لان "الاجتماع ميل طبيعي امتلكه الإنسان منذ بدأ الخليقة ومنذ أن وجد الإنسان على الأرض وجد معه ميله الطبيعي للالتقاء مع أبناء جنسه ولذلك لا يوجد ما يدل على وجود إنسان عاش بمفرده".32

البيت العربي حضر بكل مستلزماته الضاربة بجذورها في عمق البداوة العربية فأهل البدو "يتخذون البيوت من الشَّعر أو الوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير مُنَحَّدةٍ ,إنما هو قصد الاستظلال والكنَّ لا ما وراءه ."33

فهذه صورة الحياة ببساطتها ,وكيف استثمر الإنسان تلك الأشياء المحيط به من شعر ووبر وشجر وطين وحجارة ليبني بيتاً يأوهيه ويعينه على الاستمرار والبقاء ,وذلك ليحقق هدفاً آنياً قريبا لا يحمل همًا سواه هو الاستظلال والكنّ ,فقد اجتمعت المصطلحات العروضية الخاصة بالبيت العربي ,لتبين مدى تأثير البيئة في الإنسان .

حيث يظهر ذلك من خلال التسميات الظاهرة في المصطلح ,فهذا بيت يقف على عمد ممدد قائم في وسط الخباء ,وصدر في أول البيت وعجزه في آخره إلى حبل يشد حبل الرواية وبابين مصراعين ,وكفأه في آخر البيت من أعلاه إلى أسفله.

في داخل البيت يثبت الرجل ويقيم أمام مصطلحين عروضيين هما الضرب(اضرب الرجل في بيته أقام وثبت), والوتد:(وتد في بيته أقام وثبت), وهنا يشير ابن خلدون إلى "أن أهل البدو يتخذون من صناعة الخشب العديد من الوسائل "فيتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم ,والخدوج لظعائنهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم "34 فكما اجتمعت المصطلحات (الضرب ,السبب,الوتد,الصدر ,العجز, الاعتماد, الروي,الأكفاء ,الفلج .)في البيت العربي المكاني اجتمعت كذلك في البيت الشعري "...وقد شبهوا البيت من الشعر بالبيت من الشَّعر ,فكما أن البيت من الشعر لا يقوم إلا بالأسباب ,هي الحبال والأوتاد التي تدق (توتد)في الأرض ,وكانت الأسباب لابد من ربطها إلى الأوتاد فلما كان كذلك سميت هذه الكلمات أسباباً وأوتاداً ,وإنما

قيل لسبب سبب لأنه يضطرب ويثبت مرة ويسقط أخرى ,وقيل الوتد وتد لأنه يثبت فلا يزول ,فالسبب كالحبل الذي بالبيت فإنه يقطع ويطوّل ويوصل به ,فيطول ويقصر ,والوتد :كوتد الخباء (الخيمة) يكون ثابتاً لا يلحقه تغيير في الغالب لذلك جـاء فـي المتن فهذه الأوتاد والأسباب لها ثباتٌ ولها ذهاب "35.

وبهذا يكون المصطلح العروضي ,هو جزء من الحياة العربية ,مسّت ذلك الجانب المرئي الظاهر ,تعلق بمظاهر المعيشة في ذلك الزمن وانعكس على مسمياته .

8/**المصطلح العروضي ودلالة الماء :**

إن البيئة العربية بيئة صحراوية ,يندر فيها الماء , ويقل فيه نزول المطر , "وقد عرفت هذه الصحراء بالجدب والحر ,ومن العوامل الرئيسة فهذا الجدب قلة المطر ,وعدم توافر المياه ويعود ذلك لان الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تتعرض لها الجزيرة صيفا تصل إليها بعد إن سقط فانه يسقط في فترات متباعدة تكون أسقطت أمطارها الغزيرة على الحبشـة ,فـلا يصلها إلا القليل."36 وقد انعكس هذا كله على حياة الإنسان العربي ,فأضحت المعيشة صورة شاحبة ,قاصية ,جعلت الإنسـان العربي في حل و ترحلا بحثاً عن الماء والكلاء فهذه الصورة النادرة للماء مثلها المصـطلح العروضـي ,فقـد شـكل عـدد مصطلحات الماء (15م),من جملة المصطلحات المدروسة(117),ومن هذه المصطلحات قد تفرد مصطلح الروي بدلالة مكثفة ,فهو ضد العطش ,ويستمر في الاتساع ليشمل ستة حالات وهي الماء العذب ,الماء الكثير ,المزادة فيها الماء ,الحيـوان الـذي يسقي عليه الماء ,الحبل الذي يروي به على الراوية ,الرّواية :تزود القوم بالماء ,فوسائله تعددت من حملة وتخزينه ,ونقله مـن مكان إلى آخر,كما تتبع المصطلح دقائق حالات الماء عندما توقف عند وصفه (اليعاليل : حُبابُ الماء,اليعاليل:نفخات الماء فوق الماء من وقع المطر ,اليعلول : المطر بعد مطر) ."فالعرب قوم كانت لحوم أبلهم وأغنامهم تمثل الغذاء الأول بالنسبة إليهم وقل مثل ذلك بالنسبة إلى "المزادة " التي تحفظ لهم الماء الذي كان له أثره الخطير في حياتهم ,إذ كانوا ينتقلون في طلبه من موضع إلي موضع"37," وقد قدست العرب مواطن الماء ,وظنوا أن فيها أسراراً غامضة فساحوا في الصـحراء بـاحثين عـن تلـك المواطن التي تهب لهم الحياة ,واضطرتهم ندرة المياه إلى أن يمهروا في العثور على مواطنها ,ولهم في ذلك طرائـق كثيـرة للاستدلال ,مثل شم التراب ,وبعض رائحة النبات ,أو إتباع سير طيران القطا ,وقد حفر العرب الآبار,و بنوا الأحواض والسدود الصغيرة لحفظ الماء "38.

إن حقل الطبيعة قد شكلته تلك الدوائر الأربعة (الحيوان ,المكان والزمان ,والماء) والآن نري ما مدى تقـاطع هـذه الحقول ؟

لقد اجتمعت مصطلحات هذا المحور في ثلاثة دوائر ,تبادل فيها الماء والمكان والإبل الأماكن الحضورية ,والمصطلحات العروضية كانت جسر التواصل بين هذه العناصر ,فالماء والإبل لصيقة بحياة الإنسان العربي .

وفي ختام هذه الإشارة المصطلحية ,يمكن القول أن المصطلح العروضي مساحة حياتية ,فمن خلاله يمكنك أن ترحل إلى أعماق المجتمع ,تتصفح من خلاله أوراق الخصوصية الثقافية , كما يمكنك أن تعيش مدة من الزمن في أحضـــان تلـــك البيئـــة العربية ,المترامية الأطراف والضاربة في عمق التاريخ البشري ,وباختصار المصطلح العروضي مرآة تتراء فيهـــا الوجـــوه المتعددة لجوانب حياة الإنسان العربي في رحلة تفاعله مع محيطه البيئي والاجتماعي .

الهوامش والإحالات:

1- محمد زغلول سلام ,مدخل إلي الشعر الجاهلي ,منشاة المعارف الإسكندرية,د/ط ,د/ت ,ص:189.

2- محمد مفتاح ,المفاهيم معالم ,المركز الثقافي العربي ,الطبعة الأولي,1999م,ص:25.

3- أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي ,حلية المحاضرة في صناعة الشعر ,تحقيق جعفر الكتاني ,وزارة الثقافـــة والإعـــلام العراقيـــة ,دار الرشيد للنشر ,سلسلة كتب التراث 1979م , ص :82 .

4- ابن منظور ,اللسان ,مادة تم .

5- نفس المصدر ,مادة ردف .

6- السيد أحمد جهاد ,كتاب الإبل العربية إنتاج وتراث ,ط1415:1ه/1995م,ص:26

7- المائدة ,الآية103.

8- السيد سابق ,فقه السنة , دار الكتاب العربي , الطبعة السابقة ,1405ه/ 1985م ,ص:702.

9- اللسان ,مادة شبع .

10- البروج ,الآية 13.

11- المائدة ,الآية 28.

12- البقرة ,الآية 212.

13- الملك,الآية 19.

14- المائدة ,الآية117.

15- اللسان ,مادة قدس .

16- الحشر ,الآية 24/23/22.

17- الممتحنة ,الآية 3.

18- ينظر اللسان ,مادة (الرجز , ضرع , خبل,درك).

19- أحمد موسي النوتي ,الصحراء في الشعر الجاهلي ,عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ,الطبعة الأولي,1430ه/2009م,ص:111.

20- كتاب الإبل العربية ,مرجع سابق ,ص:26.

21- الغاشية ,الآية17.

22- سيد قطب ,في ظلال القرآن , دار الشروق القاهرة , 1425 ه/ 2005م, ص:3898.

23- الأعراف,الآية73.

24- تفاصيل هذه القصة ,ينضر تفسير ابن كثير ,ص:742.

25- الثعالبي ,فقه اللغة ,تحقيق د/جمال طلبة ,دار الكتب العلمية ,د/ط 1422ه/2001م,ص:223.

26- نفس المصدر ,ص:343.

27- المزمل ,من الآية (1الي7) .

28- في ظلال القرآن ,مرجع سابق ,ص:3745/3746

29- الصحراء في الشعر الجاهلي ,مرجع سابق ,ص:250.

30- عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ,شرح المعلقات السبع ,تحقيق :طلال أحمد ,دار الكتب الحديث ,الطبعة الأولي, 1423ه/2002م,ص:29.

31- مدخل إلي الشعر الجاهلي ,مرجع سابق ,ص:189.

32- فهمي سليم الغزوي ,وآخرون ,المدخل إلى علم الاجتماع ,دار الشروق 1992م,ص:70.

33- مقدمة ابن خلدون , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ,بيروت – لبنان1428ه/2007م,ص:135.

34- المصدر السابق ,ص:414.

35- ناصر لوحشي ,مفتاح العروض ,دار الهدى ,الجزائر ,ص:29.

36- الصحراء في الشعر الجاهلي ,مرجع سابق ,ص:238.

37- عبد القادر هني ,دراسات في النقد الأدبي عند العرب ,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر ,ص:32.

38- الصحراء في الشعر الجاهلي ,مرجع سابق ,ص:243.